

تفسير ابن كثير

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ^ق وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
أَسْلَمْتُمْ ^ج فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ^ط وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ^ق وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ

ثم قال تعالى : (فإن حاجوك) أي : جادلوك في التوحيد (فقل أسلمت وجهي لله ومن

اتبعن) أي : فقل أخلصت عبادتي لله وحده ، لا شريك له ولا ند [له] ولا ولد ولا

صاحبة له (ومن اتبعن) على ديني ، يقول كعقالي ، كما قال تعالى : (قل هذه سبيلي

أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني [وسبحان الله وما أنا من المشركين]) [يوسف

: 108] . ثم قال تعالى آمرا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى

طريقته ودينه ، والدخول في شرعه وما بعثه الله به الكتابيين من الملتين والأُميين من

المشركين فقال : (وقل للذين أُوتوا الكتاب والأُميين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن

تولوا فإنما عليك البلاغ) أي : والله عليه حسابهم وإليه مرجعهم وما بهم ، وهو الذي يهدي

من يشاء ، ويضل من يشاء ، وله الحكمة في ذلك ، والحجة البالغة ، ولهذا قال : (والله

بصير بالعباد) أي : هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة ، وهو الذي لا

يسأل عما يفعل وهم يسألون) [الأنبياء : 33] وما ذاك إلا لحكمته ورحمته . وهذه

الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته ، صلوات الله وسلامه عليه ، إلى

جميع الخلق ، كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما

آية وحديث ، فمن ذلك قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) [

الأعراف : 158] وقال تعالى : (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا

([الفرقان : 1] وفي الصحيحين وغيرهما ، مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة ، أنه بعث

كتبه صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله ملوك الآفاق ، وطوائف بني آدم من عربهم

وعجمهم ، كتابيهم وأميينهم ، امثالاً لأمر الله له بذلك . وقد روى عبد الرزاق ، عن معمر

، عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " والذي نفسي بيده

، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت

به ، إلا كان من أهل النار " رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : " بعثت إلى الأحمر

والأسود " وقال : " كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة " . وقال

الإمام أحمد : حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت عن أنس ، رضي الله عنه : أن

غلاما يهوديا كان يضع للنبي صلى الله عليه وسلم وضوءه ويناوله نعليه ، فمرض ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " يا فلان ، قل : لا إله إلا الله " فنظر إلى أبيه ، فسكت أبوه ، فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر إلى أبيه ، فقال أبوه : أطع أبا القاسم ، فقال الغلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : " الحمد لله الذي أخرجني من النار " أخرجه البخاري في الصحيح إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .